

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

(أَرَى كُلَّ عُوْدٍ نَابِتًا فِي أَرْوَمَةٍ ... أَبَى مَذْبُوتُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا) .

(بَذُّو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ ... لَابَاءَ صِدْقٍ يَلْقَاهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا) .

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : ومنه قولهم (العَصَا مِنْ الْعُصَيَّةِ) قال أبو عبيد : هكذا قال وأنا أحسبها العصية من العصا إلا أن يكون أراد أن الشيء الجليل إنما يكون في بدئه صغيراً كما قالوا (إِنْ زَمَّا الْقَرْمُ مِنْ الْأَفْئِلِ) فيجوز حينئذٍ على هذا المعنى أن يقال (العصا من العصية) .

ع : حذف أبو عبيد بعض هذا المثل واختزله وإنما تقول العرب (العصا من العصية والأفعى بَذَتْ الْحَيَّةَ) .

وقال الرياشي : إن العصية فرس كريمة نتجت مهراً جواداً فقليل العصا من العصية . وأشهر أفراس العرب المسماة بالعصا فرس جذيمة الأبرش صاحب الزبيّ فهذا طبق لما بعده . والذي ذهب أبو عبيد إليه من أن الشيء الجليل إنما يكون في بدئه صغيراً وَجَّهَ كما قال عدي بن زيد :

(شَطَّ وَصَلُ الَّذِي تُرِيدِينَ مَذْيَ ... وَصَغِيرُ الْأُمُورِ يَجْنِي الْكَبِيرَا) .
وقال الحارث بن ولة :

(لَا تَأْمَنْ مَنْ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ ... وَبَدَأَتْهُمْ بِالشَّيْءِ وَالظُّلْمِ) .
(أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لِيَغَيِّرَهُمْ ... وَالشَّيْءُ تَحْقِيرُهُ وَقَدْ يَنْدُمِي)